الجامع المختصر

في عنوان التواريخ وعيون السير

لابي طالب علي بن انجب تاج الدين المعروف بابن الساعي الخازن

المتوفى سنة ٦٧٤ هـ ١٢٧٥ = ١٢٧٦ م

الجزء التاسع

وهو من تاريخ ، بلغ فيه مؤلفه الى سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م)

(عني بنسخه ونشره واصلاح تصحيفه وتعليق حواشيه وعمل فهارسه)

مصطفى جواد

بنفقة الأب أنستاس ماري الكرملي

وحقوق طبعه واعادة نشره محفوظة لهما

طبع في المطبعة السريانية الكاثوليكية في بغداد

سنة ١٩٣٤ م = ١٣٥٣ هـ

AL-DJAMI' AL-MUKHTASAR

(ANNALES ET BIOGRAPHIES)

D'IBN AS-SÅ'Ï AL-KHÅZIN

IXE VOLUME

COPIÉ, ANNOTÉ ET PUBLIÉ

PAR MUSTAFA DJAWÂD

ET LE PÈRE **ANASTASE-MARIE** DE ST. ELIE

O. C. D.

TOUT DROIT RÉSERVÉ.

Imprimerie Syrienne Catholique.

Bagdad [Iraq] 1934.

وصف الجزء [1] التاسع من الجامع المختصر

في عنوان التواريخ وعيون السير

رأيناهذا الكتاب الجامع النافع في المكتبة التيمورية الملحقة بدار الكتب المصرية ، بعد نزولنا القاهرة المعزية من البلاد المصرية سنة ١٣٥٢ الهجرية الموافقة لسنة ١٩٣٤ الميلادية . وهو مشتمل على ٣٦١ صفحة بقطع الثمن الكبير ومكتوب قديم متوسط يرقى الى القرن السابع للهجرة . وناقص من اوله ومن اوساطه وما قبل آخره ، فالنقصان الاول لا نعلم مقداره والنقصان الثاني قدا كلنا الكتاب بما يقلل ضرره ويمحو أثره نقلا من كتب التاريخ . وقد قرأنا لهذا الكتاب وصفاً في مجلة المقتبس « ٣ : ٩٣ وما بعدها » نذكر ههنا بعضه اتماماً للفائدة . قال واصفه ، الاستاذ محمد كرد علي :

« تاريخ ابن الساعي »

وقفنا على قطعة من كتاب الجامع المختصر في عنوان التاريخ (كذا) وعيون السير (استخرجه من دشت من الورق احمد بك تيمور من علماء القاهرة وسراتها وهو الذي عرف بانه قطعة من الجامع المختصر في عنوان التاريخ (كذا) وعيون السير) قال في كشف الظنون « انه تأليف الشيخ تاج الدين علي ابن انجب بن الساعي البغدادي المتوفى سنة ٦٧٤ (خازن كتب المستنصرية)

(١) رقمه في المكتبة التيمورية (٥٩٧ تاريخ)

وهو تاريخ كبير في خمسة وعشرين مجلداً بلغ فيه الى آخر سنة ٦٥٦ مرتب على السنين ؛ وهذا الجزء وهو مخروم من اوله يبدأ من حوادث سنة ٥٩٥ وينتهي في حوادث سنة ٦٠٦ اي ان فيه حوادث عشر سنين تامة ذكر فيه ماوقع فيها من الكوائن السياسية والطبيعية وترجم كثيراً ممن توفوا في تلك الحقبة من الزمن ولاسيما القاضي الفاضل والعماد الكاتب والفخر الرازي وابو السعادات ابن الاثير الجزري صاحب النهاية وهو موجز العبارة سهل الانشاء

ومعلوم ان الدولة العباسية كانت على ذلك العهد آخذة بالضعف [1] ولذلك تقرأ نموذجاً من هذا الضعف في مسطور هذا التاريخ منها ان ابن ليون صاحب ارمينية اغار على اطراف حلب وغنم ونهب وقتل، ومنها ان صاحب الكرج كان يغير على بلاد المسلمين ومنها ان ملوك الطوائف كصاحب غزنة وهراة والشام ومصر كانوا يتقربون لبغداد تقريبا

(١) قال مصطفى جواد : ان العصر الذي تناول حوادثه هذا التاريخ من ازهر عصور بني العباس واعظمها قوة ونظاما ، اما ان ممالك الخليفة كانت اذ ذاك قليلة فهي قلة موروثة لان ملوك الاطراف استفحلوا استفحالا شديداً بامتم رار الزمن كالملك العادل وخوارزم شاه والغوري ، فليس من السهل توسيع مملكة الخليفة ومع هذا فقد كان خليفة هذا العصر الناصر لدين الله اعظم سياسي عباسي واحسن بني العباس اضطلاعا بامور الخلافة ، فقد وسع مملكته توسيعاً لا يبلغه الا ذو همة حاسمة وطموح عظيم ، اما تقبيل عتبة باب النوبي فقد بدأ من زمن الملك الرحيم البويهي سنة ٤٤٧ هـ ـ كما في فوات الوفيات ـ لا في عصر هذا الخليفة (٥٧٥ ـ ٦٢٦) اما تنقص المسحيين لبلاد الاسلام فبدأ منذ أواخر القرن الثالث للهجرة

ظاهرياً،وفي تلك المدة بدأ الصوفية يرد ذكرهم مع الفقهاء والوعاظ والقراء واخذت العادة تسري بتقبيل العتبة الشريفة بباب النوبي الشريف»...
وفي هذا التاريخ الفاظ واصطلاحات لذلك العصر منها ماورد في ترجمة ابي منصور بن نقطة المشجر (راجع ص ٦٨ من المطبوع)[1] وانه كان مجيداً في صنعة الغناء وعمل الكان

[قال مصطفى جواد : «الصواب: الكان وكان ،وهو فن من الشعر العامي البغدادي معروف ومنه قول أبي منصور بن نقطة المسحر المذكور:

أنا مغني واخي زاهد عمل مره يرين في دار ذي حلو موذي مره

وقد ذكر ابن الاثير في اول المثل السائر وابن الفوطي في مختصر مناقب بغداد ص ١٣١ ان العامة ببغداد ينظمون شعراً عامياً فيأتون بمعاني لا يقدر عليها الفصحاء من الشعراء ؛ وتكلم على هذا الفن مؤلفو العروض المتأخرون ووزنوه واورد بعضهم منه :

ياقاسي القلب مالك تسمع وما عندك خبر

والظاهر لنا أنه ليس له وزن معلوم ، ومنه ما قال مظفر بن الطراح فخر الدين كما في سنة ٦٩٠ من الحوادث الجامعة :

جمال دين العلى يامالك من يامالك عجل بقتل المهذب قبل ان يقتلك

... ... وانظر الى صاحب الديوان ومجد الملك

وقيل في بعض كتب العروض المتأخرة[2] الزمان ان ممن نظمه شمس الدين الكوفي والامام ابن الجوزي وانت كما ترى في ترجمة ابن نقطة المذكور

(١) في المطبوع (المسحر) (٢) راجع ميزان الذهب (ص ١٤١)

(ص ٦٨ من الجامع المختصر) انه من السابقين الى نظمه فانه توفي سنة ٥٩٧ ومنهم شمس الدين محمد بن القاسم الواسطي وقد ادرك اواسط القرن الثامن للهجرة وتوفي سنة ٧٤٤ (راجع فوات الوفيات ٢ : ٣٩٥) ومن نظمه في ذلك قوله دع عنك شرب الهلايج . . .]

ومنها ماذكره في ترجمة الامير قيصر العوني نسبة الى الوزير عون الدين يحيى بن هبيرة كان مملوكا افرنجي الجنس... وكان يخرج في الاعياد في صدور (١) (كذا) موكبه بالقباء والعمامة القصب الكحلية والى جانبه خادم له من خدام الوزير بالاهبة ايضاً » وقد ذكر فيه ماوقع سنة ٥٩٧ في مصر من الغلاء العظيم الذي اهلك معظم اهلها وهو جملة من كتاب الاعتبار في اخبار الديار المصرية لموفق الدين عبد اللطيف البغدادي، وهذا الكتاب طبع قديما في مصر، وترجم كثيراً من المسيحيين والاسرائيليين وغيرهم من غير اهل الاسلام ووفاهم حقهم واليك مثالا من ذلك بالحرف « ابو سعيد الحسن بن خالد بن المبارك بن محضر النصراني الماردني الملقب بالوحيد ...» والمؤلف عناية بأخذ التقاليد الصادرة عن الملوك وغيرها من الصكوك الرسمية ولو كتب لكتابه كله البقاء لانتفع به كثيراً في هذا الباب لان فيه ولا شك مايغفله اكثر المؤرخين، ومما ذكره تقليد فخر الدين ابي الحسن محمد بن محمد بن المختار الكوفي نقابة الطالبيين ببغداد [راجع ص ١٩٣

(١) الصواب (صدر)

من المطبوع] ... ومن فصول الكتاب المهمة ما ذكره في نقل الفتوة ومانجدد فيها سنة اربع وستمائة ، والفتوة كما في التاج لغة « الكرم والسخاء وفي عرف اهل التحقيق ان يؤثر الخلق على نفسه بالدنيا والآخرة وصاحب الفتوة يقال له الفتى ومنه لا فتى الا علي وقول الشاعر:

فان فتى الفتيان من راح واغتدى لضر عدو أو لنفع صديق

وعبر عنها في الشريعة بمكارم الاخلاق ولم يجيء لفظ الفتوة في الكتاب والسنة وانما جاء في كلام السلف ، واقدم من تكلم فيها جعفر الصادق ثم الفضيل ثم الامام احمد وسهل والجنيد ولهم في التعبير عنها ألفاظ مختلفة والمآل واحد »قلنا : والفتوة فيما نرى كما يظهر من هذا التقليد الصادر عن الناصر اشبه بجمعية سياسية(كذا)والعهد الصادر عن الخليفة الناصر لدين الله الذي نحن بصدده هو «في هذه السنة أهدرت الفتوة [كذا وهذا ليس بعهد بل هو كلام ابن الساعي]القديمة وجعل امير المؤمنين الناصر لدين الله القبلة في ذلك ... وهذه نسخته : بسم الله الرحمن الرحيم ، من المعلوم الذي لايتمارى في صحته ولا يرتاب في وضوح براهينه[1] [راجع ص ٢٢٣من المطبوع] ...ومن العهود ماصدر

(١) قال مصطفى جواد : (ثم اورد الاستاذ محمد كرد علي ، عهد اهدار الفتوة فجاء في ص ٩٩ من المقتبس بقلمه (وقد رسم الله على المراسم العلية)والصواب (وقد رسم اعلى الله المراسم العلية) وجملة (اعلى الله) دعاء وضمير (رسم) عائد الى الناصر لدين الله ، وورد مثل هذا الدعاء في ص ١٠١ وورد في ص٩٩ ايضاً(مستطاً

عن الخليفة العباسي لرئيس اليهود قال ابن الساعي: وفي تاسع ذي القعدة المذكور ولى ابن وهبة رأس مثنية(؟) اليهود وكتب عهده بذلك وسلم اليه [راجع ص ٢٦٦ من المطبوع] ... ، والخليفة الناصر لدين الله هذا هو الذي تقدم كما قال ابن الساعي : بانشاء دور ضيافة لفطور الفقراء في شهر رمضان في سائر محال بغداد شرقيها وغربيها [راجع ص ٢٢٩ من المطبوع والكامل ١٢ : ١١٦ ، ١٨١ طبعة مصر] فنرقع الشروع في ذلك على يد قوام الدين نصر بن ناصر صدر المخزن المعمور ...» الخ .

وقال جرجي زيدان في «تاريخ آداب اللغة العربية كما في «٣: ١٩٩» منه مانصه :الجامع المختصر في عنوان التواريخ والسير ، وهو تاريخ كبير له من عداد الرفاقة التي لم تعم نواحيها) والصواب (لم يقم بواجبها) وفيها ايضاً (تنزل كبيره عنه) والصواب (ينزل كبيره عنه) اي يتبرأمنه ، ولا سيما وقدتقدم في ص ٩٨ قول الفاخر العلوي (اشهدوا علي أني قد نزلت عنه) وقول المنشيء (ان ينزل عنه في الحال) كما في ص٩٩وفيهاوفي ص ١٠٠ (صاحب الحرب) والصواب (صاحب الحزب) وهو الناصر لدين الله على ما في ص ١٠٠ فقدتقدم في ص ٩٨ قوله(وتقدم الى الوزير بجمع رؤساء الاحزاب) وفيها (فكأنما عيب على كبيرة) والصحيح (كبيره) أي رئيس الحزب ، وفيها (فجزاؤه جهنم خالدا فيها ثلاثة) والصواب(...فيها الآية) لان بقيتها«وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذاباعظيما» وفيها(فسقطت فتوته ... واجب القصاص منه)والصواب(ووجب القصاص منه)

و بقياس اصلاحنا اوهام هذه الصفحة ٩٩ مما نقله الاستاذ كرد علي الى الكتاب كله يعلم القراء ما لقيناه من نصب التحري وتعب الاستصلاح لهذا الكتاب .

في ٢٥ مجلداً مرتب على السنين بلغ فيه الى آخر سنة ٦٥٦ يبدأ بالسنة فيذكر حوادثها ثم يأتي بتراجم من مات فيها ؛ وذيل عليه تلميذه كمال الدين عبد الرزاق بن احمد [بن الفوطي] المؤرخ المحدث المتوفى سنة ٧٢٣ في نحو ثمانين مجلداً لم نقف عليه ، اما الجامع المختصر فوقعنا على الجزء التاسع منه في الخزانة التيمورية وفيه حوادث ١٢ سنة (من ٥٩٥ ـ ٥٠٦) في نحو « ٤٠٠ صفحة » اه والصواب [٦٠٦] قال مصطفى جواد: كلامه هذا اكثره من كشف الظنون فان مؤلفه قال: «الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير وهو تاريخ كبير في نحو خمسة وعشرين مجلداً بلغ فيه الى سنة ٦٥٦ والذيل عليه لتلميذه كمال الدين عبد الرزاق بن احمد بن محمد المحدث المؤرخ الفيلسوف البغدادي الفوطي المتوفى سنة ٧٢٣ وهو كبير في نحو ثمانين مجلداً عمله للصاحب » اه ونظن ان الصاحب الذي ذكره هو علاء الدين عطا ملك الجويني صاحب ديوان العراق في الدولة المغولية .

وذكره مؤلف الكشف المذكور في مادة تاريخ ابن الساعي فقال « ... وذيل تاريخ بغداد والجامع المختصر ... » وذكره في مادة تاريخ ابن الفوطي فقال « متعدد كالذيل على الجامع المختصر لشيخه ابن الساعي ...» وقال في الكشف طبعة اوربة «٢ : ١٦١» الجامع المختصر وذيله. وقال ابو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي في شذرات الذهب في اخبار من ذهب « ٥ :٣٤٣» وهو يترجم ابن الساعي « له مصنفات كثيرة في التفسير والحديث والفقه والتاريخ منها تاريخ في ستة وعشرين مجلداً » فكأنه

عنى الجامع المختصر .

قلنا : والعنوان الذي رأيناه في اول الكتاب هو « الجزء التاسع من الجامع المختصر الخازن » وقد ذكر هو في هذا الكتاب بعض مؤلفاته ، منها «غزل الظراف ومغازلة الاشراف »ففي ص ٦٤ منه قال وهو يترجم العماد الكاتب الاصفهاني: «وقد اخترت جملة من غزله في كتاب غزل الظراف ومغازلة الاشراف » وقال مؤلف الكشف (٤ : ٢١١) ماصورته (غزل الطرف مجلد لتاج الدين) وقال ايضاً (٤ :٣٣٤) مانصه (غزل الطرف لتاج الدين في مجلدين (والصحيح ماذكرناه ، وذكر هو ايضاً من كتبه(نزهة الابصار في معرفة نقباء الاسرة الاطهار) كما في ص ٧٩ من الجامع المختصر . فانه قال في ترجمة ابى علي عبد الحميد بن عبد الله بن اسامة العلوي النسابة الكوفي (قلد جده وابو جده نقابة الطالبيين ببغداد وقد ذكرتها في كتاب نزهة الابصار في معرفة نقباء الاسرة الاطهار) وقال مؤلف كشف الظنون (٦ : ٣٢٠)ما مثاله (نزهة الابصار للشيخ ابن الساعي) وقال شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي في(الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ) وهو يذكر ذيول تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: (وذيل عليه التاج علي بن انجب ابن الساعي خازن كتب المستنصرية ببغداد يقال انه في نحو ثلاثين مجلداً) وقد عنى بذلك الجامع المختصر ولكونه ذيل تاريخ بغداد صنف ابن الفوطي ذيلا له كما أسلفنا من القول .

ترجمة ابن الساعي علي بن انجب الخازن

هو ابو طالب علي بن انجب بن عبد الله بن عمار بن عبيد الله المعروف بابن الساعي - كما في ص ٣٨٦ من الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة لتلميذه عبدالرزاق بن الفوطي - أو علي بن انجب بن عثمان بن عبيدالله - كما في ص ٣٤٣ ج ٥ من شذرات الذهب في اخبار من ذهب لابي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي - او علي بن الحسن - كما في خلاصة الذهب المسبوك (ص ١٦٢ ، ١٩١ ، ٢١٢ - ٤) لعبد الرحمن سنبط قينتو الاربلي تلميذه ايضاً - .

قال ابن الفوطي المذكور في حوادث سنة (٦٧٤) من الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة : « وفيها توفي تاج الدين علي بن انجب بن عبد الله بن عمار بن عبيد الله المعروف بابن الساعي المؤرخ وكان مولده سنه ثلاث وتسعين وخمسمائة ، وكان اديبا فاضلا ، له مصنفات كثيرة آخرها كتاب الزهاد ، وجد عليه بخط الشيخ زكي الدين [1] عبدالله بن حبيب الكاتب :

---

(١) قال ابن الفوطي ايضاً في حوادث سنة ٦٨٣ « وفيها توفي الشيخ زكي الدين عبد الله بن حبيب الكاتب ، كتب على طريقة ابن البواب ، وكان عالما فاضلا ، رتب شيخ الصوفية برباط الاصحاب [المجاور لمشهد عبيد الله] سنة سبع وخمسين [وستمائة] واضيف اليه مشيخة رباط مجد الدين بن الاثير سنة اثنتين وسبعين ، وكان عمره ستا وسبعين سنة » ثم قال في ترجمة جمال الدين ياقوت المستعصمي في وفيات ٦٩٨ : « ... ثم كتب على الشيخ زكي الدين بن حبيب ... »

مازال تاج الدين طول المدى من عمره يعنق في السير
في طلب العلم وتدوينه وفعله نفع بلا ضير
علا علي يتصانيفه وهذه خاتمة الخير [1]

وقال ابن العماد الحنبلي في حوادث سنة ٦٧٤ من شذراته « وفيها ابن الساعي ابو طالب علي ابن نجب بن عثمان بن عبيد الله البغدادي [2] السلامي خازن كتب المستنصرية ، كان اماما حافظا مبرزاً على اقرانه ، ذكره ابن ناصر الدين ، وقال الذهبي : وقد أورد الكازروني [علي بن محمد ظهير المتوفى سنة ٦٩٧] في ترجمة ابن الساعي اسماء التصانيف التي صنفها وهي كثيرة جداً لعلها حمل بعير ، منها مشيخته بالسماع والاجازة في عشر مجلدات وقرأ على ابن النجار [محمد بن محمود محب الدين المتوفى في سنة ٦٤٣] تاريخه الكبير ببغداد وقد تكلم فيه - فالله اعلم - وله اوهام انتهى . قلت : وهو شافعي المذهب قال ابن شهبة في طبقاته : المؤرخ الكبير كان فقيهاً بارعاً قارئاً بالسبع محدثاً مؤرخا شاعراً لطيفاً كريماً مصنفات كثيرة في التفسير والحديث والفقه والتاريخ منها تاريخ في ستة وعشرين مجلداً . انتهى » . لكن صاحب كشف الظنون يقول في ذيول تاريخ بغداد :« ... والذيل عليه ايضاً لابي بكر المارستاني والذيل على ذيل المارستاني لتاج الدين علي بن انجب بن الساعي البغدادي

(١) الحوادث ص ٣٨٦ (٢) نسبة الى مدينة السلام

المتوفى سنة ٦٧٤» فهو ذيل ذيل .

وقال جرجي زيدان في تاريخ آداب اللغة العربية « ٣ : ١٩٩ » نقلا عن طبقات الحفاظ « ٢ : ٦٣ » مانصه « ابن الساعي توفي سنة ٦٧٤ . هو تاج الدين ابو طالب علي بن انجب بن عثمان بن عبدالله البغدادي خازن الكتب للمستنصر[1] العباسي : صحب ابن النجار واخذ عنه وعن غيره ، وكان من المحدثين الثقات والف في التفسير والتاريخ كتباً كثيرة وصلنا منها :

١ — مختصر اخبار الخلفاء : لابن الساعي تاريخ كبير في نحو ثلاثين مجلداً ، لم نقف عليه ، وله اخبار الخلفاء وقفنا على مختصره هـذا ، وهو كتاب نفيس يبدأ بظهور الدولة العباسية وينتهي بانقضائها في بغداد ، وفيه خلاصة مختصرة في بيوت الملك والامارات في الاسلام ، ويدخل فيها ذكر الدول الصغرى الاسلامية وملوكها المعاصرين له [اي للمختصر لهـذا الكتاب] في جزيرة العرب والسودان وآسيا الصغرى والشام والمغرب [من اهل القرن الثامن للهجرة] وامراء البدو في مصر والشام طبع بمصر سنة ١٣٠٩ ويعرف بتاريخ ابن الساعي ...

(١) قلنا : « قال عبد الرزاق بن الفوطي في ترجمة عز الدين ابي حامد عبد الحميد بن ابي الحديد من كتابه بمجمع الاداب في معجم الالقاب « ... وحضر بين يدي المولى السعيد خواجه نصير الدين الطوسي فقوض اليه امر خزائن الكتب ببغداد مع اخيه موفق الدين والشيخ تاج الدين علي بن انجب ... »

٢ — الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير [قلنا : ثم ذكر ما نقلناه في وصف الكتاب آنفا] اه

وقال شمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوي في الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص ١٥٦ ما مثاله «علي بن انجب ابو طالب البغدادي الخازن احد الحفاظ »

وقال هو عن نفسه ـ كما في مختصر اخبار الخلفاء ص ١١٤ : وفي سنة اربعين وستمائة رحت زائراً الى ام عبيدة ودخلت الرواق الاحمدي وشيخ الرواق اذذاك ولي الله العارف الكبير بركة الزمان السيد نجم الدين احمد بن علي الرفاعي — رحمه الله ورضي عنه — وهو سبط السيد احمد الكبير الرفاعي — ر ض — فرأيت في الرواق المبارك الالوف من الفقراء وقد وفدوا عليهم من اقطار الدنيا ، هذا هائم وهذا ساكت وهذا موله وهذا عاشق وهذا غائب وهذا مطرق وهذا يقرأ القرآن وهذا يصلي على النبي ـ ص ـ وهذا يذكر الله تعالى وهذا في خلوته بعبادة ربه وهذا مشتغل بخدمة الواردين مع حسن حال وسكون وشأن عجيب بحيث لو رآهم رجل من الصابئين او المجوس لعرف انهم من اولياء الله ـ تعالى ـ وان نبيهم ـ ص ـ صاحب الدين الاحق والقول الحق ويقوم شيخ الرواق بكفاية الجميع من طعام وشراب وكسوة وغير ذلك واغرب ما رأيت ان رجلا يطوف بالابار والخيوط على الفقراء وشيخ الرواق ـ اعني السيد نجم الدين احمد ـ على سنن جده سيد اولياء زمانه ابي العباس السيد احمد الكبير الرفاعي — ر ض — في غاية التواضع والانكسار ولا يعرف من بين الفقراء ، هذا مع ما هو عليه من الهيبة

والجلالة وكثرة العلم والفضائل ويجلس كل يوم بعد العصر مجلساً خاصاً يقرأ دروس الفقه للفقراء وفي الصباح يقرأ لهم درس الادب وتهذيب الاخلاق ويأتي بكلام من كلام جده في هذا الباب تذهل له العقول . لم ينقل عن غيره من القوم ابداً ... » .

وقال عبدالرزاق بن الفوطي في ترجمة عبدالغني بن فاخر مهتر الفراشين بدار الخليفة وذلك في وفيات سنة ٦٤٨ من الحوادث الجامعة : «قال الشيخ تاج الدين علي بن انجب المعروف بابن الساعي ـ رحمه الله ـ قال لي مرة : ان جنياً اسمه شمردل تمرد علي وخالف امري واني تألمت منه الى ملك الجن فأمر بحبسه ، فقلت : واين ذلك الحبس ؟ فقال : في النجف ، فكنت اسأله دائماً عنه فيقول : هو على حاله في الحبس ، قال : وشفعت فيه مرة ليطلقه ، فقال لي : اي شيء يعجبك فيه حتى تشفع في اطلاقه ؟ فانه وحش الصورة قذر احمق مؤذ ، قلت : فيستتاب قال : لا والله ، وكنت اعجب منه كيف يقول ذلك بكليته مع دهاء كان عنده ومكر وعدم غفلة . ورأيت في حمام داره مخاد جلود كباراً وصغاراً فسألته عن ذلك فقال : هذه اجعلها تحت كعبي وركبتي ورأسي اذا نمت لاجل تدليك جسمي » اهـ

وقال في خبر وصول الشيخ محمد بن الداية الواعظ الى بغداد سنة ٦٤٩ من الحوادث ايضاً : « قال الشيخ تاج الدين بن الساعي صاحب التاريخ : اجتمعت به فرأيته شيخا مليح الشيبة حسن الهيئة وسألته عن

هذه(١) الحال فقال : جئت ليرسل الديوان معي عسكراً ». وقال تلميذه عبد الرحمن سنبط قنيتو الاربلي فى ترجمة المستنصر بالله بكتابه خلاصة الذهب المسبوك يصف ساعة المستنصرية: «يقول مؤلف تاريخ بني العباس الامام العالم تاج الدين علي بن الحسن المعروف بابن الساعي : ان هذه منقبة لم يسم اليها الاولون » ص٢١٢ من الخلاصة ،وله حديث عن المستنصر والمستنصرية واحوالها في مساجد بغداد (ص ٨٧ ، ١٠١).

شيوخ ابن الساعي

تقدم في ما مضى من اخباره ان مشيخته بالسماع والاجازة عشر مجلدات وانه صحب ابن النجار وقرأ عليه تاريخه الكبير وقد ذكر هو في كتابه هذا (الجامع المختصر) انه روى عن محمد بن سعيد القرني، (ص ٧ ، ١٢ ، ٣٢ ، ٥٧ ، ٧٠ ، ١٨٠ ، ٢٧٦ ، ٢٩٠) ولعله الذي سماه محمد ابن سيعد الواسطي ـ كما في ص٣٣ منه ـ وروى عن ابي عبدالله الواسطي (ص١٣، ٧١ـ٢، ٢٩٠)ولعله محمد بن سعيد الواسطي المذكور ،وعن محمد ابن سعيد العدل(ص ٢٩ ، ٦١ ، ١٠٧ ، ١٣١ ، ٢٤٦ ، ٢٩٢ـ٥ـ ٨)وعن

(١) حاله هي انه حضر عند الوزير مؤيد الدين محمد بن احمد بن العلقمي وقال له : ان الله ـ تعالى ـ امرني بان استنجد جماعة والقى عساكر المغول ، فقال له الوزير : في المنام قيل لك ذلك ؟قال : لا ، ثم قال : وقع لي اني اذا لقيتهم لا ابالي في القتل ، فقال لي الله تعالى «بكش» قال عبد الرزاق :ومعناه بالعربية، اقتل»

ابي عبد الله بن ابي المعالي الشافعي(ص٣١ ،٨٥، ١٣٤ ، ٢١٠،٢٤٩،٢٥٤)
وكانه محمد بن سعيد الواسطي المار الذكر ، وعن محمد بن سعيد الدينوري
المتوفى سنة ٦٣٧(ص٣٦ ،٥٨، ٨٦ – ٧ ، ١٥٥ ، ١٩٠ ، ٢٤٥ ، ٢٧٧)وعن
ابي القاسم علي بن عبد الرحمن بن علي بن الجوزي بدر الدين (ص ٣١)
وعن ابي عبد الله بن محمود الحافظ الكاتب (ص ٦٢) وعن محي الدين
يوسف بن عبد الرحمن بن علي بن الجوزي المقتول سنة٦٥٦ ببغداد وعن
محمد بن سعيد الكاتب(ص ٢٨٢) وعن عبد السلام بن شيخه ابي زكريا
تاج الدين يحي بن القاسم التكريتي (ص ٩٠) وعن نقيب النقباء ابي
طالب الحسين بن احمد بن المهتدي بالله (ص ٢٩١) وعن ابي الحسن محمد
ابن القطيعي (ص ٩٣) وعن عبد الرحمن بن الغزال (ص٩٤) ومحمد بن
ابي الفضل الاديب (ص١٠٣) وابي العباس احمد بن احمد العدل (١١٠)
ومحمد بن سعيد بن يحيى(ص ١١٢ ، ١٦١ ، ١٨٦ ، ٢٠٨ ، ٢١٤ ، ٢٧٦)
وكأنه احد السابق ذكرهم وقد جرده من الكنية واللقب ، وعن محمد
ابن ابي المعالي الفقيه (ص ١٢٦ ، ١٣٧ ، ٢٩٥) ولعله ابو عبدالله بن ابي
المعالي الشافعي نفسه ، وعن كمال الدين عبد الرحيم بن ياسين
المتوفى في سنة ٦٣٠ومحمد بن سعيد الحافظ(ص ١٥٥) وكأنه ابن الدينوري
المذكور ، وروى بعض الاخبار عن اصحابها أو الخبراء بها كما ترى في ص
٢٠٦ فقد نقل خبر عودة جمال الدين قشتمر الى طاعة الخليفة الناصر
عنه اما من ذكرهم مع قوله «شيخنا» فهم : ابو زكريا تاج الدين يحي بن

القاسم التكريتي (ص٩٠) وشهاب الدين عمر السهروردي (ص١٤٥) ومحمد ابن سعيد الدبيثي (ص٢١٣-٢٤٥) ونصر الله بن الاثير (ص٣٠٠) وقال في ص ٣٥٥ في ترجمة عبد المجيب بن عبد الله بن زهير : « اخبرنا عبد المجيب هذا ان مولده في سنة سبع وعشرين وخمسمائة » وقال في ترجمة المبارك بن الاثير ص ٣٩٩ : ذكر لي اخوه ضياء الدين نصر الله...» ثم قال : وحدثني اخوه ضياء الدين ان ... ؛ ثم قال في ص٣٠٧ « انبأني ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي قال انشدني ولد فخر الدين الرازي...»

مصادر نقله في الجامع المختصر

اظهر مصادر نقله: كامل التواريخ لعزالدين علي بن الاثير الجزري المتوفى سنه ٦٣٠ كما ترى في ص ٥ من الجامع المختصر وغيرها ؛ ونقل من كتاب الحاجب قيصر بن كشتكين (ص ١٦ . ٧٧ . ١١١ . ١٣٦.١٦٢) ومن ارشاد الاريب الى معرفة الاديب المعروف بمعجم الادباء لياقوت الحموي المتوفى بحلب سنة ٦٢٦ (ص ١٥٨) ومن كتاب الاعتبار في اخبار الديار المصرية لموفق الدين عبد اللطيف البغدادي المتوفى ببغداد سنة ٦٢٩ (ص ٤٧) وقال في ترجمة ابي المعالي هبة الله ابن الحسين بن المطلب الكاتب المعروف بالجرذ (ص ٣١) ما نصه « صنف كتابا سماه : تقويم المائد في تفضيل الناقص على الزائد ، وجدوله على وضع تقويم الصحة وذكر اعيان الناس وجعل بازاء كل

شيء وضعه ابن جزلة [يحيى بن عيسى] نوعا من الهجو أو المدح ، وقد وقفت على هذا الكتاب وعزمت على نقله ثم اضربت عن ذلك لما فيه من الهجو والفحش والقذف ـ عفا الله عنا وعنه ـ » .

تآليف ابن الساعي

تقدم في منقولاتنا قول ظهير الدين الكازروني في ترجمة ابن الساعي إن تآليفه كثيرة جداً لعلها وقربعير، وتقدمت أبيات الشيخ زكي الدين عبدالله ابن حبيب في انه قضى عمره في طلب العلم وتدوينه فعلا بتصانيفه وكان كتاب الزهاد خاتمة خيره ، وهذا الثبت الذي يأتي يحتوي على تآليفه التي عرفناها مرتبة على حروف الهجاء :

١ — أخبار الادباء وهو كتاب كبير في خمس مجلدات ، ذكره مؤلف كشف الظنون في كشفه (١ : ١٨٤) من الطبعة الاوربية .

٢ — اخبار الحلاج ، قال مؤلف الكشف المذكور (أخبار الحلاج للشيخ تاج الدين علي بن انجب البغدادي المتوفى سنة ٦٧٤) وأعاد ذكره مع غيره في مادة (تاريخ ابن الساعي) .

٣ — أخبار الخلفاء ، قال (لتاج الدين المذكور وهو كبير في ثلاث مجلدات) راجع (١ : ١٨٥) من الكشف وذكره ثانية في مادة (تاريخ ابن الساعي) وتقدم كلام جرجي زيدان عليه وعلى مختصره المطبوع في مصر ، وظهر لنا ان المختصر له من اهل القرن الثامن للهجرة — كما ادغمنا في كلام جرجي زيدان — .

٤ — اخبار الربط والمدارس ، ذكره مؤلف الكشف في مادة (اخبار) ومنه نسخة في برلين برقم (١٤٦) — على ما ذكر خليل طوطح الشامي في اطروحته ص١١٢ منها — . وذكره الحاج خليفة ثانية في مادة (تاريخ ابن الساعي) .

٥ — إخبار قضاة بغداد ، ذكره الحاج خليفة في (اخبار) من كشف الظنون (وتاريخ ابن الساعي) .

٦ — اخبار المصنفين ، ذكره مؤلف الكشف ، فقال (ست مجلدات) كما في (١ : ١٩١) منه ، واعاد ذكره في مادة (تاريخ ابن الساعي) .

٧ — اخبار الوزراء ، ذكره المؤلف فقال في مادة (اخبار) ما صورته [... وجمعهم ايضاً الصولي والصابيء وابو الحسن علي بن انجب « ٢ : ١٥٦ » وقال في مادة « كتاب الوزراء » ما نصه « لاسماعيل ابن عباد الوزير المعروف بالصاحب وذيله الشيخ تاج الدين علي بن انجب ابن الساعي البغدادي في مجلد » كما في « ٥ : ١٦٨ » منه ، وقال شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي في الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ « ص ٩٧ » في باب تواريخ الوزراء « وكذا عمل ابو طالب بن انجب الخازن اخبار الوزراء في دول الأئمة الخلفاء » .

٨ — الاشارات الموفقية في علماء الدولة البويهية ، ذكره تلميذه

(١) هي التربية عند العرب .

عبد الرحمن سنبط قنيتو الاربلي في تاريخه « خلاصة الذهب المسبوك ص ١٩١ » فقال « وقد جمع الشيخ تاج الدين علي بن الحسن المعروف بابن الساعي شيخنا — رحمة الله عليه — في ذلك كتابا سماه : الاشارات الموفقية في علماء الدولة البويهية » .

٩ — الايناس في مناقب الخلفاء من بني العباس ، ذكره مؤلف الكشف في مادة « تاريخ ابن الساعي » وشمس الدين السخاوي في الاعلان بالتوبيخ (ص ٩٦) قال « وجمع مناقب الخلفاء ... أبو طالب علي بن انجب البغدادي الخازن » ويلتبس هذا الكتاب بمؤلف له آخر اسمه « مناقب الخلفاء الاربعة » والظاهر لنا ان مؤلف الكشف والسخاوي عنيا « مناقب الخلفاء الاربعة » فان الكتاب الاول ذكره باسمه في « ١:٥١٩ » من الكشف فقال « الايناس بمناقب العباس » وسقط منه لفظ (بني) وقال عبد الرحمن سنبط قنيتو في الخلاصة خلاصة الذهب المسبوك ، في ترجمة المستعصم بالله (ص ١٦٢) منها « وقد ذكر الشيخ تاج الدين علي بن الحسن البغدادي من ذلك في كتابه الموسوم بكتاب الايناس في مناقب الخلفاء من بني العباس » ولعل هذا الوصف منه ، فانه قال في وصف المستعصم بالله « وقال الشيخ العالم تاج الدين علي بن الحسن المعروف بابن الساعي شيخنا — رحمة الله عليه — : شاهدته (يعني الخليفة المستعصم) وهو اسمر اللون مسترسل اللحية ربعة ليس بالطويل ، ظاهر الحياء ، لين الكلام ، سهل الاخلاق ، سليم الصدر » كما في ص ٢١٤ من الخلاصة .

١٠ — بلغة الظرفاء الى معرفة تواريخ الخلفاء . ذكره صاحب الكشف فى مادة « تاريخ الخلفاء » فقال « ... ومنها بلغة الظرفاء الى معرفة تواريخ الخلفاء » كما في « ٢ : ١٢٨ » منه .

١١ — تاريخ الخلفاء ، ذكره ايضا في المادة السابقة ، قال « تاريخ الخلفاء ، ونساء الخلفاء من الحرائر والاماء ... »

١٢ — تاريخ الشهود والحكام ببغداد . قال مؤلف الكشف المتقدم ذكره مراراً (تاريخ الشهود والحكام ببغداد لتاج الدين علي بن انجب البغدادي المتوفى فيسنة ٦٧٤ وهوكبير في ثلاث مجلدات) ٢: ١٣٤ .

١٣ — تاريخ من أدركت خلافة ولدها ، نظنه من مؤلفاته ، وقد ذكره عبد الرحمن سنبط قنيتو الاربلي ،راجع ص ٣٧ ، ٥٥ من الجامع المختصر هذا .

١٤ — تاريخ نساء الخلفاء من الحرائر والاماء ، اشرنا اليه في المادة (١١) وذكره الذاكر الاول فيمادة (نساء الخلفاء) كما في (٦ : ٢٤٠) من الكشف وقال السخاوي (... وكذا تاريخ نساء الخلفاء) كما في ص ٩٦ من الاعلان بالتوبيخ .

١٥ — الثمانية العالية ، وهى الاحاديث الثمانية،راجع الكشف (١ :١٦٢) في مادة (الاحاديث الثمانية)

١٦ — الجامع المختصر فى عنوان التواريخ وعيون السير ، وقد تقدم الكلام عليه لانه هذا الكتاب الذي بين يديك ، وكأن الحاج

خليفة كاتب چلبي عناه بقوله «تاريخ ابن الساعي هو علي بن أنجب البغدادي المتوفى سنة ٦٧٤ وهو تاريخ كبير على ثلاثين مجلداً ... » أو هو ذيل كامل التواريخ الذي سنذكره ، لانه ذكر الجامع المختصر في هذه المادة نفسها مادة « تاريخ ابن الساعي » قال : ... وذيل تاريخ بغداد والجامع المختصر ... » لكن الذيل كان في خمس مجلدات كما سيأتي ، لاثلاثين .

١٧ — حسن الوفاء لمشاهير الخلفاء ، ذكره الحاج خليفة في مادة «تاريخ الخلفاء » مع غيره .

١٨ — ذيل كامل التواريخ ، قال الحاج خليفة « ٥ : ٢٥ » مانصه « كامل التواريخ ، ذيله ابو طالب علي بن أنجب بن الساعي المتوفى سنة ٦٧٤ في خمس مجلدات الى سنة ٦٥٦ وترجمه بالفارسية مولانا نجم الدين الطارمي المتوفى سنة ...؟ من اعيان دولة ميرزا شاه بن تيمور باشارته ترجمة بليغة وكان ماهراً في الانشاء ، كذا في حبيب السير » وقال السخاوي في الاعلان (٧ : ١٤٦) في كلامه على الكامل « نعم ذيل عليه ابو طالب علي بن انجب البغدادي الخازن المتوفى سنة اربع وسبعين وستمائة »

١٩ — الروض الناضر في اخبار الامام الناصر ، قال السخاوي وقد اوردنا بعض قوله « وجمع مناقب الخلفاء وكذا تاريخ نساء الخلفاء وسيرة الخليفة الناصر أبو طالب علي بن أنجب البغدادي الخازن » كما في ص ٩٦ من الاعلان ، وقال عبد الرحمن الاربلي المذكور آنفاً غير مرة ذلك القول في ترجمة الناصر لدين الله « وله مناقب كثيرة وفضائل جمة قد ذكرها

الشيخ العالم تاج الدين علي بن انجب المؤرخ البغدادي المعروف بابن الساعي الشنجا [كذا والصواب : شيخنا ، كما تقدم في كلامه] — رحمة الله عليه — في كتاب يشتمل على خمس مجلدات سماه : «الروض الناضر في اخبار الامام الناصر » كما في ص ٢٠٨ من الخلاصة .

٢٠ — سيرة المستنصر ، ذكره الحاج خليفة في مادة « سيرة »

٢١ — شرح مقامات الحريري ، قال في الكشف « في خمسة وعشرين مجلداً لتاج الدين المذكور » ٦ : ٦٤

٢٢ — شرط المستنصرية ، مجلدواحد . قال في الكشف«...للشيخ تاج الدين اوله : حمداً لمن من على عباده... قال : وسميته بمفاتيح الجنان ومصابيح الجنان » ٤ : ٤٢

٢٣ — شعراء الزمان المعروف بلطائف المعاني في شعراء زماني ؛ ذكره صاحب الكشف في باب الشين بالاسم الاول وفي باب اللام بالاسم الثاني ، وقال في مادة « تاريخ » ماصورته « وله تاريخ آخر لشعراء عصره » .

٢٤ — طبقات الشافعية ، قال مؤلف الكشف في باب طبقات الشافعية « للشيخ ابي اسحق ابراهيم بن علي الشيرازي المتوفى سنة ٤٧٦ وذيله الشيخ تاج الدين علي بن انجب بن الساعي البغدادي الشاعر ، مات سنة ٦٧٤ في سبع مجلدات » ٤ : ١٤١ وكانه الذي ذكره في مادة تاريخ قال : «... وطبقات الفقهاء وغير ذلك » .

٢٥ — غرر المحاضرة ودرر المكاثرة في التاريخ ، قال الحاج خليفة : « للشيخ الامام تاج الدين علي بن انجب المعروف بالخازن البغدادي المتوفى سنة ٦٧٤ » ٤ : ٣٢١ وذكره في مادة « تاريخ ابن الساعي » .

٢٦ — غزل الظراف ومغازلة الاشراف ، راجع (ص ٩٤ من الجامع المختصر هذا) وقد مر الكلام عليه ، وقال الحاج خليفة « غزل الطرف » لتاج الدين في مجلدين « ٤ : ٣٣٤ » وكان قال « عزل الطرف ، مجلد لتاج الدين » وصحيح الاسم ما ذكرناه اولا .

٢٧ — كتاب الحث على طلب الولد ، ذكره مؤلف الكشف « ٥ : ٧٢ » .

٢٨ — كتاب الزهاد ، وهو آخر ما الف ، ذكره تلميذه عبدالرزاق ابن الفوطي في الحوادث الجامعة كما في ص ٣٨٦ منه ، واوردنا ذكره سابقاً مرتين .

٢٩ — مراثي الجهة السعيدة زمرد خاتون والدة الناصر لدين الله ، ذكره في كتابه الجامع المختصر هذا «ص ٢٧٩ » في ترجمة ابي الفوارس قوام الدين نصر بن ناصر المدائني ، فقد اورد من مرثية المدائني هذا لام الناصر بيتين ، فقال « وهي طويلة وقد ذكرتها في مراثي الجهة السعيدة والدة الامام الناصر لدين الله »

٣٠ مشيخة ابن الساعي ، تقدم ذكرها منقولا عن شذرات الذهب وانها في عشر مجلدات ، وقال الحاج خليفة « مشيخة ابن الساعي علي بن

انجب البغدادي في عشرين مجلداً » ٥ : ٥٦٣ .

٣١ — المعلم الانابكي في التاريخ ، راجع « ٥ : ٦٣٥ » من كشف الظنون ، وذكره مؤلف الكشف ايضاً في مادة « تاريخ ».

٣٢ — المقابر المشهورة والمشاهد المزورة ، مجلد واحد ، ذكره صاحب الكشف « ٦ : ٦٤ » وكان قد ذكره في مادة « تاريخ » .

٣٣ — مناقب الخلفاء الاربعة ، وسبق الكلام على التباسه بكتاب الايناس في مناقب الخلفاء من بني العباس ، ولكن قوله الاربعة ، يعين المراد ، قال مؤلف الكشف « مناقب الخلفاء الاربعة ثلاث مجلدات » ٦ : ١٥٢ .

٣٤ — نزهة الابصار في معرفة نقباء الاسرة الاطهار ، ذكره هو في الجامع المختصر (ص ٧٩) كما سلف من كلامنا ، وقال في كشف الظنون « نزهة الابصار للشيخ ابن الساعي » ٦ : ٣٢٠ .

٣٥ — نزهة الراغب المعتبر في سيرة الملك قشتمر ، اشار هو اليه في الجامع المختصر (ص ٤٣) وقد نبهنا على ذلك في ما سبق من كلامنا .

٣٦ — نظم منثور الكلام في ذكر الخلفاء الكرام ذكره مؤلف كشف الظنون في مادة « تاريخ الخلفاء » من كشفه « ٢ : ١٢٨ » مع غيره .

واذا كان هذا الكتاب الجليل يشتمل على بعض خلافة الناصر لدين الله المحصورة بين سنة ٥٧٥ وسنة ٦٢٢ رأينا ان نلحق بالمقدمة

جملة من نظم الدولة العباسية في ذلك العهد ونشرح شيئاً من سياسة الناصر المذكور في التملك والايالة ونـذكر بعض احـواله في امضاء أمور الخلافة العباسية فنقول :

نظم (١) الدولة العباسية

في اواخر عهدها (عهد الناصر لدين الله)

كان الناصر لدين الله احمد بن المستضيء يقطع اكثر البلاد امراءه ورؤساء الناس المشهورين او يعين صدراً للبـلاد اوالصدر هو حاكمها الـكبير ، فالمقطع بلداً يعاهد الدولة ان يحمل الى الديوان وهو ديوان الزمام الموصوف بالعزيز مالا وقع تراضي الطرفين على مقداره سنوياً ومن الرؤساء من يضمن البلاد ويوجب على نفسه حمـل الخراج الى الديوان ، كما ترى في ترجمة افلح بن افلح من كتاب الجامع المختصر «٩ :١٦» وهذا الاسلوب في الجباية كان قد فشا في الدولة العباسية قبل زمن الناصر لدين الله بمدة طويلة ، وهو لايخلو من ظلم ولايسلم من حيف وكان من العلويين من يؤازر الناصر في اعماله هذه وقد كان النقيب جلال الدين ابو جعفر القاسم ابن الزكي الثالث النقيب ابي منصور الحسن صدر البلاد الفراتية باسرها ونقيبها وكان فيه كرم وظلم وبسببه نـكب الناصر جماعـة من بني المختار العلويين وتولى هـذا السيـد تعذيبهم

(١) فصل من كتاب « السنين الضائعة من الحوادث الجامعة »

واستخراج اموالهم واستصفاءها وضمن قوسان بأضعاف ما كان ضمانها وعسف الناس في الجباية اي عسف ولا سيما اهل « الهور » فقال فيه مزيد الخشكري الشاعر :

فكأنما الهور الطفوف واهله الـ شهـداء وابن معيـة ابن زياد

« راجع عمدة الطالب في انساب آل ابي طالب » فان كان قد صدر مثل هذا من سيد شريف فليس ببدع صدوره من غير السادة ، كما ترى في ترجمة افلح بن افلح المذكور آنفاً ، و يظهر من ترجمته ان الضامن لبلد ما كان يبعث معه احد الشهود المعدلين لتقدير البلد وتعيين ارتفاعه اي خراجه . خرج هذا الضامن الى قوسان التي ضمنها فضايق المعاملين واستوفى عشرة آلاف دينار لم يأمر الكاتب باحتسابها في الجرائد ولا علم المشرف وهو كالمفتش اليوم باحتجانها ، ولما سأله الشاهد المذكور عن مآل هذا المال الذي جباه قال له « هذا المال لي ولك وللكاتب والبراطيل ونفقة الحبس » فلما شعر الديوان بما يفعله هذا الضامن الظالم أخرج اليه من احتاط عليه وعلى المال .

وكان لكل بلد مهم ديوان يعين له صدر ورتبته تسمى الصدرية وعليه مشرف ، اما بغداد ففيها كان ديوان الزمام الذي اشرنا اليه وتضاف اليه «ال» فيقال الديوان عند الاطلاق وهو مجلس الوزير او نائب الوزارة والمتصل بينه وبين الامة وبينه وبين الخليفة ، وفي بغداد ايضاً «ديوان الابنية » وهو الذي يتولى عمارات الدولة وترميماتها ،

ويعين له مهندس او اكثر مع غيره من الموظفين الذين يقيمون امره كما ترى في ترجمة جعفر بن محمد القطاع ابي الحسن (ص ١٨٤) وديوان الانشاء الذي كان يسمى « ديوان الرسائل » في صدر الدولة العباسية واواسطها ، و« ديوان الجوالي » وهو الذي يستوفي الجزية من اهل الذمة على مقتضى مذهب الشافعي - رض - ولا يجوز في مذهب هذا الامام الكبير ان يؤخذ من ذي ذمة اقل من دينار اذا كان فقيراً وان كان متوسط الحال أخذ منه ديناران وان كان غنياً اخذ منه اربعة دنانير وكان صاحب الذمة يقف بين يدي صاحب ديوان الجوالي الى ان توزن جزيته فيعطى وصولا ولا يغني ابن عن ابيه في تأدية ولا قريب عن ذي قرابته ، وكان بها « ديوان الحسبة » وهو اشبه بنظام امانة العواصم اليوم والبلديات مع الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، و« ديوان عرض الجيش » وهو الذي يتولى شؤون العساكر الخليفية وكان اذا عظم الفرق بين جنسيات العسكر ، استعمل لهم ديوانان للعرض و« ديوان العقار » و « ديوان المقاطعات » وكان يسمى « ديوان الضياع والنفقات » اما « ديوان الخراج » فصار يسمى (المخزن) وصدر المخزن كوزير المالية اليوم و(ديوان التركات) ويقال أيضا (ديوان التركات الحشرية) وفيه ارث من لا وارث له من الرعية ، لان الدولة كانت ترثهم بحكم الشرع الاسلامي ، وكان يتولى قيادة عسكر الخليفة وملاحظة شؤونه امير كبير ويكون في الغالب تركيا ، قال ابن جبير « ورونق هذا الملك

انما هو على الفتيان والاحايش المجايب ، منهم فتى اسمه خالص هو قائد العسكرية كلها، ابصرناه خارجاً احد الايام وبين يديه وخلفه امراء الاجناد من الاتراك والديلم وسواهم وحوله نحو خمسين سيفاً مسلولا في ايدي رجال قد احتفوا به فشاهدنا من امره عجباً وله القصور والمناظر على دجلة » قلنا: «ولكن الثابت عندنا ان مملوك الناصر لدين الله عز الدين نجاحا الذي القى نفسه مع الناصر من السطح حينما وقع الى ارض قصر التاج كان اكبر الامراء عنده وصار شرابياً له وصارت اكثر امور الدولة الى حكمه ولقبه الملك الرحيم عز الدين» قال ابن الاثير: « وخدمه جميع الامراء بالعراق والوزراء وغيرهم» راجع الكامل (١١: ١٦٦ طبعة مصر) وكان الخليفة يبعث الى بعض الاقطار زعيما ووظيفته الزعامة ، كزعامة خوزستان وهو الذي يتولى حرب البلاد وخراجها وادارة امورها ، والزعامة منصب كبير ، ولذلك ترى ابن الساعي يسمي مملوك الاطراف (بزعيم كذا) كالملك العادل زعيم البلاد المصرية فكأنه كان يستصغر من عدا الخليفة لان الخليفة هو مالك البلاد الاسلامية الشرعي ولا تثبت ملكية ملك من هؤلاء الا بأن يخطب للخليفة في بلاده وقد يضرب باسمه السكة فيرضى عنه ويمضي حكمه وتملكه على تلك البلاد وربما كانت تكون اعظم من ممالك الخليفة ،

ومما يجب ذكره ان المتولين لبعض بلاد الخليفة كانوا يتولون امر الحرب فيها بتكليف الخليفة كالذي حدث في سنة ٦١٦ فان الناصر لدين

الله امر الشريف معداً العلوي الموسوي نسبة الى موسى بن جعفر ـ ع ـ متولي بلاد واسط ان يحارب عرب بني معروف وساعده في ذلك، والي البصرة شمس الدين باتكين بن عبد الله الروي فجمع عساكر من تكريت والحديثة والانبار والحلة والكوفة وواسط والبصرة وغيرها وحاربهم فهزمهم ـ كما في الكامل ١٢ : ١٣٧ من طبعة مصر .

وكان للمستغلات (ناظر) وصدر يتولى شؤونها كما ترى في ترجمة جمال الدين علي بن البوري صدر دجيل ونهر عيسى ونهر الملك والانبار وهيت ، وكان يركب في جمع عظيم وبين يديه السيوف المشهورة على قاعدة لم تكن لاحد من ارباب الدولة من التحكم والاستقلال وترك المراجعة لاحد الا الخليفة الناصر لدين الله بل قسمت الاعمال بينه وبين صاحب ديوان الزمام زمام الدولة علي بن ابراهيم ابن الانباري (ص١١٦) وكان هذا الديوان ديوان العمارة وهو مجلس عميد بغداد ، قال ابن الساعي في حوادث سنة ٦٠٠ « وفي ثالث عشري رجب المذكور ولي الركن عبد السلام بن عبد القادر [الجيلي] عميد بغداد وخلع عليه وجعل له ديوان مفرد ورد اليه استيفاء الاموال ... ص ١١٨ » وكان للدولة خزانات لها ناظرون ومشرفون كخزانة الغلات بباب المراتب وخزانة الاسلحة ويتولى امر العقار الخاص وهو أملاك الخليفة موظف مستقل ، ومستوفو الضرائب المكسية يسمون (الباعة) وهو مخالف للمدلول اللغوي ، وهي تسمية بغدادية كما يسمون الساقي (الشارب) .

وكان للخليفة استاذ دار ووكيل ،اما استاذ الدار فيتولى شؤون دار الخليفة ونفقاتها وامور الاسرة العباسية المقصورة في دار الخلافة كاخوان الخليفة واعمامه وأبناء اعمامه وأما وكيل الخليفة فيمضي المعاقدات والمعاهدات والبياعات نيابة عنه ، ومن وظائف هذه الدولة حجابة باب النوبي وصاحبها ذومكانة قريبة من نيابة الوزارة والوزارة وبينهما الاستاذ دارية ، وقد ينقل حاجب باب النوبي الى صدرية المخزن وتولي امور اموال الدولة،كما ان صدر المخزن قد ينقل الى نيابة الوزارة والوزارة،وكذلك صاحب ديوان الزمام وكاتب الانشاء ، وحاجب الباب بمقام مدير شرطة بغداد العام والشحنة بمقام مدير الشرطة الخاص ، وكان نائب الشرطة يتلقى الامر من حاجب باب النوبي وهو من اتباعه ـ كما ترى في ترجمة ابي بكر يحيى بن المرأة ص ٤٠ ـ وترجمة علي بن البوري وابي منصور ابن الطحان ص ١١٦ ـ ١٣٢،٧ ـ والفرق بين الشحنة ونائب الشرطة ان اتباع الاول من الجند واتباع الثاني من الشرط ، وان الاول يعتمد على السيف والتحقيق وان الثاني يعتمد على التحقيق والتفتيش والتجسس ويتفق الاثنان حينما يحدث اضطراب عظيم ، كما تتفق اليوم الشرط والاجناد اذا اضطربت الدولة .

اما القضاء فله ثلاث مراتب في بغداد ومرتبة واحدة في غيرها ، اما اولاها في بغداد فرتبة قاضي القضاة وهو الذي يسجل باسمه اقضى القضاة والقضاة وهو يسجل باسم الخليفة ، ولقاضي القضاة مجلس

ديوان الحكم ، واما المرتبة الثانية فرتبة اقضى القضاة والرتبة الثالثة رتبة القاضي ، كأن يكون الفقيه قاضياً في ربع من ارباع بغداد كربع حريم دار الخلافة وربع باب الازج . وقاضي البلدة غير قاضي بغداد يحكم ايضاً باسم قاضي القضاة الا اذا خلا منصبه فانه يسجل باسم الخليفة رأساً ، وللقاضي شهود معدلون اي منسوبون الى العدل بأن يزكيهم قبل التعيين شهود عدول والقاعدة في ذلك ان يكون المزكون شاهدين اثنين . وهؤلاء المعدلون يتولون الشهادة امام القاضي لاثبات الحكم ، وكان من مراتب هذه الدولة نقابة العباسيين ونقابة العلويين ونقابة النقباء ويتولاها عباسي وواجبات النقيب مفصلة في كتاب المثل السائر لابن الاثير وفي عهد فخر الدين ابي الحسن محمد بن محمد بن المختار العلوي في ص ١٩٣ وما بعدها من هذا الكتاب .

وكان في الدولة عدة وظائف يطول شرحها كنظارة المارستان ونظارة الاوقاف ومشيخة الاسلام ومشيخة الربط ومنصب التدريس ومرتبة دار التشريفات وحاجب الحجاب وحاجب المنطقة وامارة الحاج والوعظ العام في دار الخلافة والخاص في الجوامع وكتابة السلة بديوان الزمام والنظر في دار الضرب .

وكانت الختانة ببغداد منوطة بالاطباء كما في مختصر الدول (ص ٤١٦) والف الطبيب صاعد بن هبة الله النصراني ثلاثة فصول فيها .

الخلافة على عهد الناصر لدين الله (١)

لما وصلت الخلافة الى الناصر لدين الله كانت كبيرة الاسم قليلة البلاد، ليس في حكمها الا بغداد والبصرة وواسط والحلة وطريق خراسان وأحوالها ، لأن التملك الطائفي في بلاد الاسلام كان قد بلغ أقصى حده وأصبح المالك لبلدة حقيرة يسمي نفسه ملكاً .هذا الى التغازي بين هذه الدويلات الاسلامية التي تمكن الغرور من أصحابها واستحوذ الجشع على نفوسهم وتغلغل حب الحرب في عاداتهم ، فلم يرث الناصر ملكاً كبيراً ولا سطوة عظيمة بل وجد نفسه كأنه ملك من ملوك الطوائف بل أميلاكها، ولولا الخطبة له والدعاء والبيعة ما فرق الناس بينه وبين صغار المتملكين من المسلمين، قيل : كان الناس قبل مبايعته في ضيق وجدب وغلاء أسعار وقلة أمطار وكثرة أمراض ووباء فاتفق له برحمة الله ان درت الامطار ورخصت الاسعار وتبدل الرخاء من الغلاء، وأضحى الناس يهنئ بعضهم بعضاً بما عمهم الله من البركات وفتح عليهم من الخيرات، فكان كما قال فيه نقيب البصرة أبو جعفر يحيى بن محمد العلوي:

وليت وعام الناس أجهد ماحل ... فجدت وجاد الغيث فانتشع المحل
وكم لك من نعماء ليس بمدرك ... لها حاسب إلا اذا حسب الرمل

وحمى الناصر حريم الدولة باهتمامه وكثرة جنوده (خلاصة الذهب

(١) فصل ثان من كتاب السنين الضائعة

المسبوك ص ٢٠٨) وأحيا رسوم الخلافة وامتلأت القلوب من هيبته وكانت أيامه من غرر الزمان (الاعلام باعلام بيت الله الحرام ص ٨٠) ولم يزل مدة حياته في عز وجلالة وقمع للأعداء واستظهار على الملوك فلم يرضيماً ولا خرج عليه خارجي إلا قمعه ولا خالف ألا دمغه، وكان شديد الاهتمام بالملك ومصالحه لايكاد يخفى عليه شيء من أمور رعيته كبارهم وصغارهم وأصحاب الاخبار في أقطار الارض يطالعونه بأخبار الملوك مواصلة ظاهرها وباطنها (نكت الهميان ص ٩٤) فكان من أفاضل الخلفاء وأعيانهم بصيراً بالامور مجرباً سائساً عارفاً شجاعاً متأيداً ابداً، وكان كل واحد من ارباب المناصب والرعايا يهابه ويخافه ويحاذره (الفخري ص ٢٣٦) وكان يشق الدروب والأسواق أكثر الليل ليطلع على أمور الرعية وكان الناس يتهيبون لقاءه وكان هو يحب الظهور للعامة ويؤثر التحبب اليهم وهو ميمون النقيبة عندهم قد استسعدوا في ايامه رخاءاً وعدلاً وطيبة عيش فالكل له داعون بالخير ، وماقولك في خليفة كان اهل الهند يرهبونه كما يرهبه أهل بغداد (نكت الهميان ٩٣ والفخري ص ٢٣٦ ورحلة ابن جبير ص ٢٠٦ ومختصر الخلفاء ص ١١١ وشرح ابن ابي الحديد ٢ : ٤٠١) هدم الناصر محلة المخرم التي ظاهر سور بغداد من جهة الشمال لأن طغرل الثاني السلجوقي طلب منه عمارة دار السلطنة بها حتى يسكنها اذا ورد بغداد على قاعدة آبائه ، ورد الناصر رسوله بغير جواب ثم اثار عليه خوارزم شاه تكش فقتل هذا طغرل سنة (٥٩٠) وانقرضت بذلك

الدولة السلجوقية في ايران ، وسير رأسه الى بغداد فعلقه الناصر أياماً بباب النوبي واستولى على دقوقا بعد قبضه على مجاهد الدين فيماز سنة « ٥٧٩ » ثم ملك بلاد خوزستان سنة (٥٨٩) وسنة (٥٩١) ثم بلاد الجبل بعد سنة ٥٩١ فاطاعته همذان وزنجان وقزوين مدة وكان قدملك سنة ٥٨٥ تكريت ، وفي سنة ٦٢٢ وهي سنة وفاة الناصر سار خوارزم شاه الى تستر وبها مظفر الدين وجه السبع مملوك الخليفةفلم يقدر عليها وسارجيشه ينهب ويسلب حتى وصل الى بادرايا وباكسايا وبعقوبا لأن الناصر كان قداشتد به الهرم وذهبت احدى عينيه وتعطل عن الحركة كل التعطل فكان خوارزم شاه كالهاجم على الأسد المحتضر .

الكتب التي راجعناها للتعليق والتصحيح والترجمة

١ — اخبار الحكماء لابن القفطي طبع الافرنج

٢ — الاغاني لابي الفرج الاصفهاني

٣ — الافادة والاعتبار لعبد اللطيف البغدادي طبعة مصر القديمة

٤ — الانساب للسمعاني

٥ — انسان العيون في مشاهير سادس القرون (نسخة مخطوطة في الخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية) رقم ٩١٩

٦ — بغداد في عهد الخلافة العباسية تأليف لسترانج الانجليزي

٧ — بغية الوعاة لجلال الدين السيوطي

٨— التحقيق والتنقير للشيخ جعفر الجناحي النجفي صاحب كشف الغطاء
٩— الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة لعبد الرزاق بن الفوطي
١٠— حياة الحيوان الكبرى للدميري
١١— خلاصة الذهب المسبوك لعبد الرحمن سنبط قنيتو الاربلي
١٢— الخلفاء امراء المؤمنين للسيوطي جلال الدين
١٣— كتاب دوزي (مستدرك على المعاجم العربية)
١٤— رحلة ابن بطوطة طبعة أوربة
١٥— رحلة ابن جبير طبعة اوربة
١٦— روضات الجنات لمحمد باقر الخونساري
١٧— السنون الضائعة من الحوادث الجامعة (مخطوط من تآليفنا)
١٨— شرح نهج البلاغة لعبد الحميد ابن ابي الحديد المدائني
١٩— طبقات الادباء لابن الانباري
٢٠— طبقات الشافعية الكبرى للسبكي
٢١ - عمدة الطالب في انساب آل ابي طالب لابن عنبة العلوي
٢٢— عيون الانباء في طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة
٢٣— الغياثي لعبد الله ابن فتح الله البغدادي (مخطوط في خزانة كتب الكرمليين وغيرها)
٢٤— الفخري لابن الطقطقي طبعة شالون
٢٥— فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي
٢٦— كامل التواريخ لابن الاثير طبعة المطبعة الكبرى وان كانت الطبعة الاوربية فنشير اليها
٢٧— كشف الغمة في معرفة الأئمة لبهاء الدين علي بن عيسى الاربلي

٢٨— لغة العرب (مجلة)

٢٩— مختصر اخبار الخلفاء لمؤرخ مجهول من اهل القرن الثامن للهجرة والاصل لابن الساعي

٣٠— مختصر الدول لابن العبري

٣١— مختصر مناقب بغداد لابن الفوطي والاصل لابن الجوزي

٣٢— المغجب في تلخيص اخبار المغرب

٣٣— معجم الادباء المسمى بارشاد الأريب الى معرفة الاديب لياقوت الرومي الحموي

٣٤— معجم البلدان لياقوت ايضاً وتعاليق الاب انستاس ماري الكرملي عليه

٣٥— مراصد الاطلاع على الامكنة والبقاع لصفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق الحنبلي البغدادي

٣٦— معدن الانوار المعروف ببهجة الاسرار للشطنوفي

٣٧— نفح الطيب طبعة مصر

٣٨— نكت الهميان في نكت العميان للصفدي

٣٩— وفيات الاعيان لابن خلكان طبعة بولاق